اللذين يختارهما ، ويتابع تقدمه على الاتجاهات التي يريدها . ولكن المفاجأة الاولية تفقد قيمتها بعد زوال اثر الصدمة الاولى كما ان المفاجآت التالية الخاصة باختيار اتجاهات التقدم تفقد كل آثارها في الاراضي الجبلية والمضائق والاراضي المشجرة التي يضطر العدو الى التقدم فيها على محاور قليلة معروفة . وهنا تنفتح كافة الفرص امام العصابات لتحقيق المفاجأة عن طريق تسديد الضربات المعاكسة في أماكن غير متوقعة ، وتنفيذ المقاومات والكمائن في نقاط مختارة بعناية وبقوات غير منتظرة . ويرتفع مستوى المفاجأة اذا كانت قوات المقاومة خفيفة الحركة قادرة على الانتقال وتحقيق عمليات التبعثر والتجمع والالتفاف بسرعة فائقة . واذا كان مستوى معنوياتها وتدريبها وقيادتها يسمح لها باستخدام الليل والوديان والمسارب وكل سبل الاختفاء ، وتوجيه الضربات المتنوعة التي لا تخلو من الابتكار والابداع وتركيزها على مقدمات ارتال العدو المهاجمة ومجنباتها ومؤخراتها .

وتختلط الاعمال الايجابية (المقاومة المحسوبة، الهجمات المعاكسة، الطلعات التعرضية، وغير ذلك من العمليات المذكورة آنفا) خلال الدفاع الديناميكي المرن مع الاعمال السلبية (التراجع الارادي ...) . ولا يمكن فصل الايجابي عن السلبي في كل عمل دفاعي ناجح . ومن المستحيل فهم التراجع الارادي الذي قد تضطر المقاومة الى استخدامه تحت تاثير اختلال ميزان القوى اذا لم يرتبط باذهاننا مع الضربات المعاكسة التي تكبد العدو خسائر مادية ومعنوية تتراكم على المدى البعيد لتعديل ميزان القوى . واذا كان التراجع الارادي عملا من أعمال الحرب فان « الاشتباك هو النشاط الحربي عينه ، وكل ما عدا ذلك اضافات تعمل لمساعدته »(٥). اذ ماذا يفيد وضع الخطط ، واجراء التحركات والمسيرات الطويلة المنهكة ومناورات الالتفاف ، وتنظيم الامداد والتموين اذا لم تؤد هذه الاعمال كلها الى القيام باشتباك ناجح يدمر جزءا من قوى العدو المادية والمعنوية ؟ ان قيام المدافع (عصابات كان أم جيوشا نظامية) بالتراجع الارادي عمل لا ينطبق على مفهوم الحرب ولا ينسجم مع جوهرها الا اذا كان عبارة عن حركة محددة ضمن منظور خدمة الاشتباك وتقديم أفضل الشروط لتنفيذه .

ويجدر بنا هنا أن نميز الانسحاب الارادي الذي قد تقوم به قوات المقاومة خلال دفاعها الديناميكي المرن عند غزو القوات الاسرائيلية للاراضي العربية المجاورة لحدود الارض المحتلة وأن نفرق هذا الانسحاب عن الجذب الاستراتيجي الى داخل البلاد . ويمكننا القول بأن العمل الاول تكتيكي والثاني استراتيجي . وبالرغم من تشابه العملين وتقارب اهدافهما (جذب الخصم الى أرض صالحة للدفاع وانتظار الفرصة الملائمة لضربه ضربة قاصمة بعد انهاكه بالمقاومات المتعاقبة والحواجز) فان حجمهما وامتداد عملهما في الزمان والمكان مختلفان بشكل واضح . وتستطيع المقاومة تطبيق العمل الاول بنجاح في مناطق الاشتباك المحتملة مع العدو ، بيد أن حجم قوات المقاومة الفعلي ، وطبيعة مسارح العمليات المتوقعة في عمق الاراضي العربية ، ووجود قواعد المقاومة في مناطق متشابكة مع مناطق عمل الجيوش العربية النظامية التابعة لدول لها خطط واستراتيجيات اخرى ، عبارة عن عوامل لا تسمح للمقاومة (حاليا) بتنفيذ الجذب الاستراتيجي لوحدها ، ولكنها تسمح لها بالمشاركة في مثل هذا العمل اذا ما تبنى جيش البلد العربي المضيف مثل هذه الخطة .

ويعتبر التراجع الارادي الذي تقوم به قوات المقاومة ناجحا اذا تم بمرونة وسرعة ، وبدا بضربة وانتهى بضربة . وكان خلال تنفيذه عبارة عن انتقال من موقع قتال الى موقع قتال . وتتسم مواقع القتال هنا بأنها مواقع محددة مسبقا لاجراء **مقاومة نسبية لا**

---

٥ ــ كلاوزفيتز ، **في الحرب** ، الكتاب الرابع ، الفصل الثالث ، ص ٢٩٢ .